غزوات المصطفى ﷺ

(١)

غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبرىٰ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق.

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

تِلْكَ أَمْوالُكُم يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ!!

إضافةً إلىٰ المصاعِبِ والمشاقِّ الَّتي تَحَمَّلَهَا المُسْلِمونَ الأوائلُ ، وخاصَّةً مَا يَتَعَلَّقُ بهجرَةِ بلدهِمْ مَكَّةَ ، فَقَدْ كانَتْ هُناكَ معاناةٌ أُخْرىٰ ؛ وهيَ أَنَّ قُرَيْشاً مَنَعَتْ عَنْهمْ أموالَهُم ومُمْتَلَكاتِهِمْ!

وما كانَ مِنَ المُسْلِمِينَ إلا التَّضْحِيَةُ ، حيثُ فَضَّلُوا الفِرارَ بالعَقيدةِ عَلَىٰ المالِ والبلدِ وما إلىٰ هُنالِكُمْ .

فاسْتَقْبَلَهُمُ الأنْصَارُ في المدينَة المُنَوّرَةِ أَحْسَنَ اسْتِقْبالٍ ، فَقَاسَمُوهُم الأمْوالَ والبَساتينَ ، وآخَىٰ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم بينَ المهاجرينَ والأنْصارِ .

وشاءَ اللهُ تعالىٰ أَنْ يأذنَ للمسلمينَ بالقتالِ ، عَسَىٰ أَنْ يَسْتطيعوا إعادَةَ ولو جُزْء مِنْ مُمْتَلَكاتِهِمْ وأموالِهِمْ ، ويَرْفَعُوا الظُّلامَةَ عَنِ الآخَرِينَ ، قال اللهُ تعالىٰ : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾

[الحج : ٣٩ـ٤٠].

وذاتَ يومٍ وَصَلَ إلىٰ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم خَبَرٌ مَفادُهُ : أَنَّ قافلةً لقُريشٍ بِزَعَامَةِ (أبي سُفيانَ بْنِ حَرْبٍ) مُتَّجِهَةٌ مِنَ الشَّامِ إلىٰ مَكَّةَ ، مُحَمَّلَةٌ بِأَنْفَسِ البَضائعِ .

فَجَمَعَ الرَّسُول صلى الله عليه وسلَّم المُسْلِمينَ وَنَدَبَهُمْ للخُروجِ إلىٰ حيثُ تَمَرُّ القَافِلَةُ ، وَمِمَّا قالَه

لَهُمْ : « هٰذِهِ عِيرُ قُريشٍ ، فيها أمْوالُكُم ، فَاخْرُجُوا إليها ، لعلَّ اللهَ أَنْ يُنَفِّلَكُموهَا ؛ أي : يَجْعَلُها غنيمةً لَكُمْ » .

فَخَرَجَ مَعَهُ ثلاثُمئةٍ وَعَشْرةٌ مِنَ المُسْلمينَ ، لا يَمْلِكُونَ إلا فَرَسَيْنِ اثْنَيْنِ ، وَسبعينَ بعيراً ، لذٰلكَ كَانوا يتناوَبُونَ الرُّكوبَ علىٰ الرَّاحِلَةِ .

* * *

وَكانَ أَمْرٌ آخَرُ!!

وَوَصَلَ الخَبَرُ إلىٰ أبي سُفيان ، فأرسَلَ علىٰ عَجَلٍ (ضمضمَ بنَ عَمْرٍو) ليَسْتَنْجِدَ بأهْلِ مَكَّةَ .

فلما سَمِعُوا مِنْهُ تَجَهَّزَ الرِّجَالُ ، وَانْطَلَقُوا باتِّجَاهِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ ، لَكنَّ أبا سُفيانَ كانَ قَدْ غَيَّرَ الطَّرِيقَ ، واتَّخَذَ طَرِيقاً آخَرَ سَاحِلياً ، وَبِذَلكَ سَلِمَتِ القَافِلَةُ ، فَأَرْسَلَ إلىٰ أَهْلِ مَكَّةَ مَنْ يُخْبِرهُمْ بِنَجَاةِ القَافِلَةِ ، إلاَّ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ أَصَرَّ عَلَىٰ أَنْ يَقُومُوا بِتَأْدِيْبِ المُسْلمينَ ، فَوَقَفَ فيهم خَطيباً ، وَقَالَ :

وَاللهِ لا نَعُودُ حَتَّىٰ نَرِدَ مَاءَ بَدْرٍ ، فَنُقيمَ فيه أَيَّاماً ، فَنَنْحَرَ الجَذُورَ ـ الجِمالَ ـ وَنَشْرَبَ الخُمورَ ، وَتَعْزِفَ عَلينا المُغَنِّيَاتُ ، وَلاَ تَزالَ العَرَبُ جَميعُها

تَسْمَعُ بِخُروجِنَا هٰذا ، فلا تلبثُ أَنْ تَهابَنا وتَحْتَرِمَنَا!

وأَمَّا المُسْلِمونَ فَقَدْ وَصَلُوا إلىٰ مَكانٍ يُقالُ لَهُ بَدْرٌ ، وَعَلِموا بأَنَّ القَافِلَةَ قد سَلِمَتْ . وَقَفَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَطِيباً ، وَسَأَلَهُمْ : « ما تَرَوْنَ في قتالِ القَوْمِ ؟ » .

فَأَشارُوا بالثَّبَاتِ وَعَدَمِ التَّراجُعِ ، وَوَقَفَ (المقدادُ بنُ عَمْرٍو) وَقَالَ : يا رسُولَ اللهِ! اِمْضِ لِمَا أمركَ اللهُ بهِ فَنَحْنُ مَعَكَ ، واللهِ لا نقولُ لكَ كما قَالَ بَنُو إسرائيلَ لموسىٰ : اذْهَبْ أنتَ وربُّك فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ، ولٰكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ .

فَقَالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مُبَشِّراً : « سِيرُوا عَلَىٰ بَرَكَةِ اللهِ وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّ اللهَ وَعَدَنِي إِحْدَىٰ

الطَّائِفَتَيْنِ ، القافلةِ أَوِ النَّصْرِ علىٰ الأعداءِ ، ووالله لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلىٰ مَصَارِعِ القَوْمِ » .

* * *

هيّا إلىٰ المبارزةِ

وأَشَارَ (الحُبابُ بْنُ المُنْذِرِ) علىٰ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم قائلاً : إذاً ، عَلَيْنَا أَنْ نَقْتَرِبَ مِنْ نَبْعِ الماءِ ، وَهُناكَ نُقيمُ حَوْضاً نَحْجُزُهُ فيهِ ، وَنَمْنَعُ قُريشاً منهُ ، فنشرَبُ ولا يشربونَ ، ونَسْتَسْقِي وَلا يَسْتَسْقُونَ .

وبَنَىٰ المسلمونَ للرَّسولِ صلى الله عليه وسلم عَريشاً ـ خيمةً ـ فجلسَ فِيها وَرَاحَ يَدْعُو اللهَ قَائلاً : « اللَّهمَّ هٰذهِ قُريشٌ قَدْ أَتَتْ بخَيْلِها وَخُيَلائِها ، تريدُ أَنْ تكذِّبَ رسُولَكَ ، اللَّهمَّ فَنَصْرَكَ الذي وَعَدْتَنِي ، اللَّهمَّ إنْ تَهْلِكَ هٰذهِ العِصَابَةُ فَلَنْ تُعْبَدَ في الأَرْضِ » .

ولمَّا اشْتَدَّ العَطَشُ بالمُشْركينَ ، خَرَجَ ثلاثةٌ مِنْ فُرسَانِهِم ، هُمْ : (عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابنا رَبيعةَ ، وَالوَليدُ بنُ عُتْبَةَ) ، وراحُوا يَتَبَخْتَرُونَ ذَهاباً وَإياباً ، ويطالبون بالمبارَزَةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ : (حَمْزَةُ بنُ عبدِ المُطَّلبِ ، وَعُبَيْدَةُ بنُ الحارثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، وَعَلِيُّ بنُ أَبِي طالبٍ) رَضيَ اللهُ عنهُمْ ، وَحَدَثَتِ المُبَارَزَةُ ، وكانَتِ النَّتِيجَةُ سُقوطُ فُرسَانِ المُشْرِكينَ صَرْعىٰ عَلَىٰ أَرْضِ بَدْرٍ!!

* * *

هبّي يا رياح الجنّة!!

وَلمَّا احْتَدَمَتِ المَعْرَكَةُ ، التَفَتَ (بلالُ بنُ رَبَاحٍ) ذاتَ اليَمينِ ، فَرَأَىٰ سيِّدَهُ (أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ) وَالَّذِي كَانَ يُذِيقُه أَشَدَّ أَنْواعِ التَّعْذِيبِ ، فَانْقَضَّ عَلَيْهِ وهو يصيحُ : أُمَيَّة... رأسُ الكُفْرِ ، لا نَجَوْتُ إنْ نَجَا!!

وَرَاحَ يَضْرِبُهُ ضَرْباً مُبَرِّحاً حَتَّى أَسْقَطَهُ صَرِيعاً علىٰ الأرْضِ .

... وأما (عُمير بْنُ الحمامِ) فَنَظَرَ فَإذا بيدِهِ بعضُ تَمَرَاتٍ ، فَأَلْقَاهَا علىٰ الأرْضِ وَقالَ : ما بيني وَبَيْنَ أَنْ أَدْخُلَ الجَنَّةَ إلا هٰذِهِ التَّمَرَاتُ ؟ إنَّها لحَيَاةٌ طَوِيلةٌ إنْ حَيِيْتُ حَتَّى آكُلَها .

ثم انْطَلَقَ نَحْوَ المُشْرِكينَ ، وَهُو يَرعدُ وَيُزْبِدُ ، وَيَضْرِبُ بِسَيْفِهِ ذاتَ اليمينِ وَذاتَ الشِّمَالَ ، وَهُوَ يَصيحُ بأعْلَىٰ صَوْتِهِ :

رَكْضاً إلىٰ اللهِ بِغَيْرِ زَادِ إلاَّ التُّقَىٰ وَعَمَلَ المعادِ

والصّبرَ في اللهِ علىٰ الجِهادِ وكلُّ زَادٍ عُرضُةُ النّفادِ

غيرَ التُّقَىٰ وَالبِرِّ والرَّشَادِ

وَهٰكذا انْدَفَعَ المُسْلِمُونَ نَحْوَ المُشْرِكينَ ، وَقَاتَلُوا قِتَالاً لا مثيلَ لَهُ ، وكانَ لِصَيْحاتِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم الأَثَرُ الكبيرُ في نفوسِ المسلمينَ ، وكانَ لِلأَلْطَافِ الإلٰهيَّةِ وَالمَدَدِ الرَّبَّانِيِّ الأَثَرُ العظيمُ في تحقيقِ النَّصْر للمسلمينَ .

* * *

وَكَتَبَ اللهُ النَّصْرَ لِلْمُسْلِمِينَ

وَلمَّا رأىٰ المُشْرِكونَ أَنَّ صَنَادِيدَهُم قَدْ قُتِلُوا (كأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ ، وَأَبي البختريِّ ، وَأبي جَهْلٍ) أَيْقَنُوا أَنَّهُ لا بُدَّ مِنَ الهُرُوبِ وَالعَوْدَةِ إلىٰ مَكَّةَ .

أَجَلْ! لَقَدْ قُتِلَ مِنَ المُشْرِكينَ سَبْعونَ قَتيلاً ، وأُسِرَ منهم سَبْعونَ أَيْضاً ، وَغَنِمَ المُسْلمونَ غنائمَ كثيرةً وكبيرةً .

وأَمَرَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم فَوَضَع قَتْلىٰ المشركينَ في بئرٍ ، وَوَقَفَ الرَّسُولُ عَلَى حافَّتِهِ وَقَال مُخاطباً إيَّاهُمْ : « يَا أَهْلَ القَلِيبِ! هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُم حَقاً ، فإنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَني رَبِّي حَقّاً ؟ » .

ثُمَّ صلَّىٰ عَلىٰ شُهَداءِ بَدْرٍ ، وَتَحدَّثَ عَنْ فَضْلِ مَنْ شَهِدَهَا : « لعلَّ اللهَ اطَّلَعَ إلىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فقالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » .

وَعادَ المُسلمونَ إلىٰ المدينةِ وَراياتُ النَّصْرِ تُرَفْرِفُ فَوْقَ رُؤوسِهِمْ ، بَيْنَما عَادَ المُشركونَ إلىٰ مَكَّةَ وَخَبَرُ هَزيمتِهِمْ قَدْ سَبَقَهُمْ!

حتَّى إنَّ بَعْضَ المُشْرِكينَ قَدْ أَصَابَهُ فُقْدانُ الوَعْي ، بِحَيْثُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَدِّقَ مثلَ مَا حَدَثَ ، وَهٰذا مَا جَعَلَ عَمَّ رَسُولِ اللهِ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ أبا لهبٍ الَّذي لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَحْتَمِلَ خَبَرَ انْهِزَامِ المُشْركينَ ، فَمَرِضَ مَرضاً شَدِيداً ، وَمَاتَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ!! وَصَدَقَ اللهُ تعالىٰ بِقَوْلِهِ في مَعْرِضِ تَخْلِيدِ غَزْوَةِ بَدْرِ الكُبْرَىٰ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا

تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا
لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ
وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ
وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال : ١٥-١٨] .

والحمد لله رب العالمين

* * *